التشفق..!

فيفي جابر التتربينى

« ثمة أحباء .. لا يملكون ماضى .. ولن يملكون مستقبل ، وانما يملكون عشقا هو كل ثروتهم ، وهم قانعون»

لم تعرف يوما بأن قدرها سيقودها إلى هذا النوع القدسى من الحب ، ولم تتمناه ، لقد تمنت أن تغرم وتتزوج بالرجل المثالى الذى سيحبها ويمنحها كل ما تحلم به من أمان وسعادة فقط .

ولكنها ذات صيف ، حيث كل الكون يحتفل بالشمس والسحر المنعكس من وجهها المستدير ، وعند أطراف الشاطئ ، حيث رماله الناعمه وملمسها المثير للكسل ، والإسترسال فى استنشاق الهواء الحر المنبعث من أعماق البحر ، وحيث الإستسلام لكل ماهو نقى ومدهش فى هذا العالم الذى يمنح كل ماهو مستحيل ويضخ كل ما هو ممتع وشهى - قابلته - ذات جولة سير على الممشى الشهير ، وسط صخب المصيفين ولهوهم وسعادتهم .

أشرق وجهه لها ، كان بصحبة أصدقاء كثيرين لم يعنيها أمرهم تماما.

ولكنها كانت كنجمة فلم يكن هو صاحب النظرة الوحيدة ، تبعوها بأعينهم وفضولهم ، وفى أعينهم لها ذلك النهم الأحمق تجاه أنثى ، ولكنه دونهم أدرك أنها سيدة السحر وعروس البحر التى إنتظرها كل العمر.

obeikan.com

وهى أدركت أن زمن الحب قد حانت مواقيته وليس عليها إلا أن تشرع له كافه نوافذها المغلقه ..

كانت رحلة الترقب التى بدأت بوميض خاطف ، قد نقلتهم إلى رحله الشغف البارق ، وصار يتبع أطراف ظلها فى كل مكان ، وكانت سعيدة بذلك الشغف الصامت الجارى بينهما .

تخلى عن رفقته وصارت جزيرتها مأواه

وبذلك الصمت انسكبت أروع الكلمات ، و أعذب الألحان فكان الغلاف الأول لتلك القصة الرائعة.

وذات مساء ، وكان لم يزل فى ملاحقة دفئها ، واتته فرصة الإقتراب منها .. كانت عند واحدة من تلك الألعاب التى يصخب بها الممشى ، (لعبة التصويب)، برفقة البعض من عائلتها ، ساطعة كالشمس فى وضح النهار ، رائعة وتلقائية كالأطفال .. وكان كلما دنا منها أكثر ، كلما ترسبت جذورها بأعماقه أكثروأكثر . تمنت لو يقترب منها حد التوحد فيها ، لو أنه لا غيره يقتلعها من ماضيها ويغرسها فى حاضره .. لو أنه أشار لها وحدها لتكون غده الغامض ، ويكتشفانه معا .

سمع اسمها ، عندما كانت شقيقتها تناديها (شروق..حان دورك) ، وبحصوله على اسمها أيقن أنها قد أشرقت بروحها فى نفسه وأضائت فى عمره للأبد.

صارت أحواله مسار جدل الرفقة المهجورة ، فتبعوه راغبين فى تحرى الإنقلاب المفاجئ ، وحين أدركوه عذروه ، وبالإستقلال التام عن العشق نصحوه ، فقال لهم (برئت من الإستقلال ، واستسلمت للعشق وطنا وأمانا ، ولعل يومكم قريب).

أغرما وصارت قصتهما سرا من أسرار البحر ، كانا يلتقيان خلسة بعيدا عن

أعين العوائل والمصيفين والرفقة والمتطفلين .. يتناجيان بالعشق .. وينآيان به عن كل الدنيا
وكانت المخاطر تتبعهما أينما كانت قلوبهم ، ولكن لم تمنعهم تلك المخاطر عن المدوامة
عند المنارة العتيقة موعدهما ساعة الغروب ، يتتبعان الشمس وهى تنغلق على ذاتها ، فيتعلمان منها كيف ينطفئ النور لينبعث منه نورا أخر.
و أمام البحر ، يجلسان متكئين على القارب المتقاعد ، يفترشان أحلامهما عرض الشاطئ ، وينسجان معا خيوط الزمن القادم ،
كان حبهما هذا الحب الذى يعصف بالقلب ويخطف الأنفاس وينيرالروح ، فقدسوه تقديسا ..
تفان كل منهم فى حب الأخر ، ولم تكن أمانيهم سوي ، بيتا وخبزا وأطفال .. فقط .
ولكن كانت الحياة لم تزل فى بدايتها ، لم يكن العاشق سوى شاب فى بداية العشرينات وكذلك هى ، أتم عالمه الجامعى وأوشك على دخول معارك الحياة

لم يسعه فى الأمس إدخار المال الذى يعينه على اتمام قصته اليوم، ولم يقبل بأن تبقى حبيبته على ذمة الزمن الغامض .

توسلت له أن يعود عن قراره ، وأقسمت له بأنها سترافقه فى رحلته مهما عسرت ، لم يتخلى عنها ولكنه كان قد ارتقى بالحب ، وكان مدركا بأن ميناء السلام ليس بقريب
حررها من عهودها ، ولكنه لم يعرف كيف يحررها من عشقها له أو يحرر نفسه ، وفارقها دون وعود ، سوى الحب .
مضى في الحياة ، متناسيا ما لن يمكنه نسيانه ، متحديا كل مستحيل .. وعاشت

هى رفيقة حبها وغربتها، تخاطره وتستحضره وترجوه عطفا ، ووصالا ، آمله بأن يحمله لها البحر ويجمعهما ذات مكان وذات زمان .

ومضى عام وعامان وثلاثه وخمسة ، وجمعهما الشاطئ.. نفس الشاطئ ، وكانت لم تنساه يوما ولم يغفل عن ذكراها طرفه عين ،

أضاءت كنجمه ولم يسعه إلا أن يتبعها من جديد ، تمنت لو أن تلقى برأسها فوق صدره وتنام ألف ألف عام ،

عانقها بعينيه المسلوبتين ، وقبلها بأثير أنفاسه المختلجه ، تجردا من المكان والزمان ومن جسديهما ، - توحدا- ولم يكن سلامهما إلا إستشهادا .

ولكنها أخبرته بأن حدسها أخبرها أنه إقترن بغيرها ، ولم تفعل هى ، فبادرها بحزن وسئلها بغفران ، وأكد لها أنه عاد من أجلها فى كل عام بعد فراقهما، وكان ينتظرها فى الفنار العتيق عند كل غروب كما كان عهدهما ، وأمام البحر برفقة القارب العجوز الشاهد على حبهما، ولكنها لم تأتى ، فغالبه الظن بأن الحب أخمدت ثوراته ، وبأنها تابعت حياتها بعده وبات لا يتعدى لديها ذكرى قصة حب ووسط ذروة البحث وفقدان الأمل وإصرار المحيطين ، نفذ الوعد الذى لا يرد وتزوج منذ عام .

ولكى لا تثير فيه ما لن يمكنها تخطيه حتما ، لم تخبره بأنها داومت على المجئ ، وأنها صارت تقدس الغروب لأنه كان توقيتهما ، وبأنها كانت على يقين أن ثمة تلاقى على وشك الحدوث ولو بعد فوات الأوان ، فقط اكتفت بما فاضت به روحها له لحظة التلاحم ، فهو أحكم وأدل

وأمامه وأمام البحر جددت عهودها ، وطمأنته قائله بأن الأرض لن تكون المكان الذى يليق بحبهما الكبير ،

وبأن الجنة خير وأبقى.